الأهرام

المصدر : الوسط

التاريخ : ٢١ يونية ١٩٩٩

لبنان والمقاومة والدولة

قال السياسي الشاب انه يشعر بالذل. لم استغرب او استهجن. تعمّدت عدم التعليق وأدركت لذّة الصمت في مثل هذه الاحوال. أزعجه انني تباخلت عليه باستفسار او سؤال. اضاف انه لا يفهم ان نمضي شهوراً في انتظار ان يحسم الاسرائيليون، عبر صناديق الاقتراع، سباق الانتخابات الطويل. وان يكتب على العرب ان يعلّقوا الآمال على وصول جنرال اسمه ايهود باراك يمتاز عن زملائه وأسلافه بأنه حصد العدد الاكبر من الأوسمة بفضل المهمات الخاصة التي نفّذها بنجاح. قال انه يتألم ان يكون اسم الفترة الحالية مرحلة انتظار تشكيل الحكومة الاسرائيلية. وان يكون اسم المرحلة المقبلة مرحلة اعطاء باراك الفرصة لترتيب شؤون البيت ودرس الملفات. وان تطالب الولايات المتحدة الجانب العربي بإبداء المرونة فضلاً عن اعطاء الفرصة.

لاحظ السياسي برودة موقفي وغياب عبارات التعاطف. ولم اكن أقصد تسجيل موقف لكن الصحافة تُعلّم ابناء مهنتها قدراً من الحذر في التعامل مع الشعارات الكبيرة وحالات المعاناة التي تنتاب السياسيين امام الصحافيين. ولعله شعر بالمبالغة وأراد حرف الحديث في اتجاه آخر فقال ان العلامة الوحيدة المضيئة ضد موسم الذل هذا هي المقاومة في جنوب لبنان، مشيراً الى انها نجحت في تحقيق ما عجزت عنه جيوش وان تضحياتها كفيلة باستعادة الارض وحماية النفوس مستقبلاً من اي سلام مشبوه قد يحاول اجتياحها.

صحيح. لا يختلف اثنان حول حق اللبنانيين في مقاومة الاحتلال. ويتفق اللبنانيون في ان المقاومة قدمت نموذجاً رائعاً لتمسّك اللبنانيين بأرضهم واستعدادهم لبذل كل التضحيات من اجل تحريرها ورفضهم اي شروط يحاول الاحتلال فرضها. لكن زائر بيروت لا يستطيع منع بعض الاسئلة من مهاجمته. اول هذه الاسئلة هو هل يكفي دعم المقاومة اعلامياً او تسهيل مهمة انطلاقها ميدانياً ليقال ان اللبنانيين فعلوا ما عليهم وأدوا واجبهم. والثاني هو عن مدى الاستعداد لمواجهة استحقاقات تلوح في الأفق وتعطي انطباعاً باحتمال تحقيق اختراق ما يفضي الى السلام او الى سلام ما. والثالث ماذا سيكون موقع لبنان في المنطقة في حال انتهاء النزاع العربي – الاسرائيلي.

انها اسئلة صعبة لا يكفي احتضان المقاومة للرد عليها على رغم اهمية هذا الاحتضان وهو اولاً واخيراً واجب اللبناني وواجب دولته. والاسئلة تقود الى تساؤلات حول بديهيات. هل يملك لبنان مثلاً ملفات تفصيلية مدعمة بالأرقام والبراهين حول المسائل التي ستطرح في اي مفاوضات محتملة. ولنفترض انه يملك هذه الملفات فهل أعد ديبلوماسيته لتخوض معركة الدفاع عن حقوقه خصوصاً ان التفاوض مع باراك الذي يحظى بدعم اميركي وتعاطف غربي سيكون أشد صعوبة من التفاوض مع اسلافه؟ وهنا ايضاً يمكن القول ان تلازم المسارين السوري واللبناني، على اهميته لمصلحة البلدين، لا يعفي لبنان من مهمة أن تكون له ديبلوماسية نشطة قادرة، وبالتنسيق مع سورية، على خدمة مصالح البلدين.

ولعل ما هو أدهى ان لبنان لم يستكمل في بيروت الجانب الآخر من المواجهة مع اسرائيل وهو جانب كان يمكن ان يتلازم مع دعم المقاومة في الجنوب. انها مهمة اعداد لبنان كي لا يكون الحلقة الضعيفة في المنطقة بعد انتهاء النزاع وان يكون قادراً على الوقوف في وجه اسرائيل حين تنتهي مرحلة التحارب معها او على الاقل حماية دوره ومصالحه وان يكون منافساً جدياً. وهذا ببساطة يعني الإنكباب على معالجة الوضع الاقتصادي المتردي وان تكون للبنان جامعات عصرية ومستشفيات حديثة وخدمات مالية ومصرفية متطورة وان تلحق الديموقراطية اللبنانية بروح بدايات القرن بدل ان تنتكس وتغرق في ممارسات جرّبها آخرون وأقلعوا عن تكرارها.

لا يستطيع زائر بيروت إنكار ما تحقق في السنوات العشر الماضية لجهة طي ملف الحرب واطلاق عملية اعادة الاعمار وباستطاعة الزائر ان يلمس فعلياً ان عهد الرئيس إميل لحود حازم في رغبته في بناء الدولة في موازاة دعم المقاومة. لكن الزائر يشعر بشيء من القلق حين يرى ان بعض المعارك والسجالات تنتمي الى الماضي اكثر من انتمائها الى المستقبل. والخوف هو ان تكون التطورات في المنطقة اسرع بكثير من استعدادات لبنان فيكتشف اللبنانيون انهم نجحوا في امتحان المقاومة لكنهم لم ينجحوا في تحصين وطنهم استعداداً لمعركة السلام او حتى للتعايش مع انتكاس مشروع السلام. حققت المقاومة الكثير والمطلوب حماية ما تحقق بتحقيق الكثير على طريق بناء الدولة وعصرنتها واعداد لبنان لـ«حروب» العقود الاولى من القرن المقبل ■

غسان شربل

www.ethraadl.com

إثراء المعارف الرقمية